

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نخن الممدد ٢٠ ملياً

الرهونات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

بجدة الكسوة محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها السئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - مابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الرابعة عشرة

« القاهرة في يوم الإثنين ٢ شعبان سنة ١٣٦٥ - ١ يوليو سنة ١٩٤٦ »

العدد ٦٧٨

من صميم الحياة :

التيهان . . . !

للأستاذ على الطنطاوى

الفروع ، ثم نجى الأمطار فتروى الأرض ثم تطلع الشمس ،
فتنسى الفصن الذى انكسر وتنتبت منه غصناً جديداً ، وناصفة
الدار تهب كل ساعة ، فتكسر قلبه وقلب أخته الطفلة ذات
السنوات الست ، ثم لا تجبر هذا الكسر أبداً ... فكان عاصفة
الحقل أرحم وأرق قلباً وأكثر (إنسانية) من هذه المرأة التى
يرونها جميلة حلوة تسي القلوب ... وماهى إلا الحية فى ليها
ونقشها ، وفى سمها ومكرها . لقد سمع سبها وشمها وصوت
يدها ، شلت يدها ، وهى تقع على وجه الطفلة البريئة ، فلم
يستطع القمود ، ولم يكن يقدر أن يقوم لحمايتها خوفاً من أبيه ،
هذا الرجل الذى حالف امرأته الجديدة وطونها على حرب هذه
المسكينة وتجريمها ففصص الحياة قبل أن تدرى ما الحياة ... فوقف
ينظر من الشباك فرأى أخته مستندة إلى الجدار تبكي منكسرة
حزينة ، وكانت مصفرة الوجه بالية الثوب ، وإلى جانبها أختها
المسترى ، طالحة الوجه صحة ، بارقة العينين ظفراً وتقلباً ، مزهوة
بثيابها الغالية ... فشعر بقلبه يثب إلى عينيهِ ويسيل دموعاً ؛
ما ذنب هذه الطفلة حتى تسام هذا العذاب ؟ أما كانت فرحة أبيها
وزينة حياته ؟ أما كانت أعزّ إنسان عليه ؟ فالها الآن صارت
ذليلة بغيضة ، لا تسمع فى هذا البيت إلا السب والانهار ،
أما التذليل فلاختها ، التى تصغر عنها سنتين ، والطبرق لها ،
وهى البنت المفردة ، على حين قد صارت هى خادمة فى بيت أبيها ،
بل هى شرّ من الخادم ، فانلادم قد تلتى أناساً لهم قلوب ، وفى

أحسن (ماجد) أنه لم يفهم شيئاً مما يقرأ ، وأن عينيهِ
تبصران الحروف وتريان الكليم ولكن عقله لا يدرك معناها .
إنه لا يفكر فى الدرس ، إنما يفكر فى هذه الجريمة وما جرّت عليه
من نكد ، وكيف تفتت حياته وحياة أخته المسكينة وجملتها
ججياً متسرعاً . وتظفر فى (الفكرة)^(١) فاذا بينه وبين الامتحان
أسبوع واحد ، ولا يدركه من القراءة والاستعداد ، فكيف يقرأ
وكيف يستمد ؟ وأتى له الهدوء والاستقرار فى هذا البيت
وهذه المرأة تطارده وتؤذيه ولا تدعه يستريح لحظة ، وإذا هى
كفت عنه انصرفت إلى أخته تعقب عليها ويلاتها ؟ ... هل
يرضى لنفسه أن يرهب فى أولى سنة من سنن الثانوية وقد كان
(فى الابتدائى) الجلتى دائماً بين رفاقة ، والأول فى صفه^(٢) ؟ .
وإنه لى تفكيره وإذا به يسمع صوت الماصفة ... وإث
الماصفة لتمرّ بالحقل مربة فى الشهر فتكسر الأغصان ، وتقصف

(١) . وكسى فى مصر (النتيجة) واسطلاحنا أصح

(٢) . وكسى فى مصر (الفصل) .

وكان ماجد يحتمل كل شيء ، إلا الاساءة إلى ذكرى أمه ،
فلما سمعها تذكرها ، لم يتمالك نفسه أن صاح بها :
— أنا لا أسمع لك أن تتكلمى عن أمى .

فتشمرت له واستمدت ... وكانت تتعمد إذلاله وإيذائه دائماً ،
فكان يحتمل صامتاً لا يبدو عليه أنه يحفظها أو يابه لها . فكان
ذلك يغيظها منه ، وتتمنى أن تجد سبيلاً إلى شفاء غيظها منه ،
وها هى ذى قد وجدتها ...

— لا تسمح لى ؟ أرجوك يا سعادة البك اسمح لى أنا فى
عرضك ... آه : ألا يكفى أنى أنتب وأنصب لأقدم لك طعامك
وأقوم على خدمتك ، وأنت لا تنفع لشيء إلا الكتابة فى هذا
الدفترا الأسود . لقد ضاع تعبى معك أيها اللئيم ، ولكن ليس
بعجيب أنت ابن أمك ...

— قلت لك كفى عن ذكر أمى ، وإلا اسكتك .
واقترب منها ، فصرخت الخبيثة وولوت وأسمعت الجيران ...
تريد أن تضربنى ؟ آه يا خاين ، يا منكر الجميل ، ولئى ...
يا ناس ، يا عالم ، الحقونى يا اخوانى ...
وجمت الجيران ، وتسلل ماجد إلى غرفته أى إلى الزاوية
التي سمّوها غرفة ، وخصوه بها لتتخلص سيدة الدار من رؤيته
دائماً فى وجهها !

ودخل الأب المساء وكان عابساً على عادته بإسراً لا يتسم فى
فى وجود أولاده ، لئلا يجترئوا عليه فتسوء تربيتهم وتفسد أخلاقهم ،
ولم يكن كذلك من قبل ولكنه استنّ لنفسه هذه السنة من
يوم حضرت إلى الدار هذه الأنفى وصبت سمها فى جسمه ،
ووضعت فى ذهنه أن ماجداً وأخته ولدان مدللان فاسدان
لا يصلحهما إلا الشدة والقسوة ...

وكانت الخبيثة إذا دنا موعد رواجه إلى الدار ، تخلع ثيابها
وتلبس ثياباً جديدة ، كما تخلع عنها ذلك الوجه الشيطانى وتلبس
وجهاً فيه سمات الطهر والطفولة ، صنعه لها مكرها وخبيثها ،
ولا تنسى أن تنظف البنتين وتلبسهما ثياباً متشابهة كيلا يحس
الأب بأنها تفضل ابنتها على ابنته ! ...

دخل فاستقبلته استقبال المحبة الجميلة ، والشوق المخلص ،
ولكنها وضعت فى وجهها لونا من الألم البرى تبدو معه كأنها

قلوبهم دين فيعاملونها كأولادهم ، وأبوها هى لم يبق فى صدره قلب
ليكون فى قلبه شرف يدفعه أن يامل ابنته ، ابنة صلبه ، معاملة
الخدّام المدلّة . لقد كتب الله على هذه الطفلة أن تكون بقيمة
الأبوين ، إذ ماتت أمها فلم يبق لها أم ، ومات ضمير أبيها
فلم يبق لها أب !

وسمع صوت خالته^(١) تنادىها : تعالى ورك يا خنزيرة^(٢) !
وكان هذا هو اسمها عندها : (الخنزيرة) لم تكن تنادىها
إلا به ، فإذا جاء أبوها المساء فى البيت : تعالى يا بنت ، روحى
يا بنت ! أما أختها فى الحبيبة : فىن انت يا حبيبى ؟ تعالى يا عيني !
وعاد الصوت يزجر فى الدار : ألا تسمعين أختك تبكى ؟
أنظرى اللئى تريد فهاتيه لها ! ألا تجاوين ؟ هل أنت خرساء ؟
قولى : ماذا تريد ؟

فأجابت المسكينة بصوت خائف : إنها تريد الشكولاتة ...
— ولماذا بقيت واقفة مثل الدبّة ! إذهبي فأعطيها ما تريد !
فوقفت المسكينة ، ولم تدر كيف تبين لها أن القطعة الباقية
هى لها . لقد اشترى أبوها البارحة كفاً من الشكولاتة ،
أعطاه لابنته الصغيرة فأكلته وأختها تنظر إليها ، فتضايقت من
نظراتها فرمت إليها بقطعة منه ، كما يرى الإنسان باللقمة للهرة
التي تحرق فيه وهو يأكل ، وأخذت المسكينة القطعة فرحة ،
ولم تجرؤ أن تأكلها على اشتهاؤها إيها ، نغبأتها ، وجعلت تذهب
إليها كل ساعة فتراها وتطمئن عليها ، وغلبتها شهوتها مرة
فقضمت منها قضمة بطرف أسنانها ، فرأتها أختها المدللة فبكت
طالبة الشكولاتة ...

— ورك يا ملعونة فىن الشكولاتة ؟
فسكتت ... ولكن الصغرى قالت : هناك يا ماما عندها ،
أخنتها الملعونة منى !

واستأقت المرأة ابنتها وابنة زوجها ، كما يساق إليهم إلى
التعقيق ، فلما ضببطت (متلبسة بالجرم المشهود) ورات خالته
الشكولاتة معها حلّ بها البلاء الأعظم !

— يا سارقة يا ملعونة ، هكذا علمتلك أمك ... تسرقين
فأليس لك ؟

(١) امرأة الأب تدعى فى الشام خالّة .

(٢) ورك كلمة شامية معرفة عن ورك تريد دائماً .

تكرّر راجعة أمام عينيه كما يكرّر فلم السينما ...
رأى ذلك الوجه الحبيب ، وجه أمه ، وابتسامتها التي كانت
تنسيه آلام الدنيا ، وصدرها الذي كان يفرغ إليه من خطوب
الدهر ، رآها في سحتها وشبابها ، ورأى البيت وما فيه إلا السلم
والهدوء والحب ، ورأى أباه أباً حقيقياً تفيض روح الأبوة من
عينيه الحائنين ، وبديه المثلثين أبدأ بالطَّرَق واللُّطْف ،
ولسانه الرطب بكل جميل من القول محبّب من الكلام ...

ويكرّر الفلم ويرى أمه مريضة فلا يهتم بمرضها ، ويحبه
مرضاً عارضاً ... ثم يرى الدار - اضطراب ظاهر فيها ، والخزن
بادٍ على وجوه أهلها ، ويسمع البكاء والنحيب ، ويجدهم يتعدون
به ، ويخفون النبا عنه ، ولكنه يفهم منهم أن أمه قد ماتت .
ماتت ؟ إنها كلمة تمرّ عليه صراً هيناً لا يابه لها ، وكان قد سمع
بالموت ، وقرأ عنه في الكتب ، ولكنه لم يره من قريب ولم يدخل
داره ، ولم يذقه في حبيب ولا نسيب ، غير أن الأيام سرعان
ما علمته ما هو الموت حين صحا صبيحة الغد على بكاء أخته الحلوة
المحبّبة إلى أمها ، والتي كانت محببة تلك الأيام إلى أبيها ، ففتح
عينيه فلم يجد أمه إلى جانبها لترضعها وتضمها إلى صدرها ، واشتد
بكاء البنت ، وطفق الولد بنادي : ماما ... ثم جفا فراشه وقام
يبعث عنها ، فوجد أباه وجمعا من قريباته ، سيكون هم أيضاً ...
فسألهم : أين أمه ؟ فلم يجيبوه - - - - - - - - - - -
وحين أراد الغدو على المدرسة ،
فناداها فلم تات لتمتدّ له حقيقته وتلبسه ثيابه ولم تقف لوداعه وراه
الباب تقبله وتوصيه ألا يخاصم أحداً والألا يلعب في الأزقة ، ثم
إذا ابتعد عادت تناديه لتكرّر تقبيله وتوصيته ، وحين عاد من
المدرسة فوجد امرأة غريبة ترضع أخته ... لماذا ترضعها امرأة
نريبة ؟ وأين ماما ؟ !

ويكرّر الفلم ، ويرى أباه رقيقاً به حانياً عليه يحاول أن يكون
له ولاخته أمّاً وأياً ، ولكن هذا الأب تبدل من ذلك اليوم
للمشؤوم ورأى ذلك اليوم المشؤوم ، يوم قال له أبوه : ستأنيك
يا ماجد أم جديدة ... أم جديدة ؟ هذا شيء لم يسمع به ، إنه
يعرف كيف يحيى أخت جديدة ، إن أمه تلبسها من بطنها ،
أما هذه الأم فمن أين تولد ؟ وانتظر وجاءت الأم الجديدة ، وكانت
حلوة ، ثيابها جميلة ، وخطوبها بلون الشفق ، وشفاهها حمراء ،
ليست كشفاه للناس . - - - - - - - - - - -
ويحب من لون شفاهها ، ولكنه لم يحبها

المظلومة المسكينة ، ولحقته إلى المخدع تساعده على إبدال حلته
وهناك روت له القصة مكذوبة مشوّهة فلاّت صدره غضباً
وحنقاً على أولاده ، فخرج وهو لا يبصر ما أمامه ، ودعا بالبنت
بجاءت خائفة تمشى مشية السوق إلى الموت ، ووقفت أمامه كأنها الحبل
المهزول بين يدي النمر . فقعده على كرسي عال ، كأنه قوس المحكمة
وَوَقَّعَهَا أمامه ، كاللهم الذي قامت الأدلة على إجرامه ، وأفهمها
فبح السرقة ، وعنفها وزجرها ... وهو ينظر إلى ولده ماجد
شزراً ، وكانت نظراته متوعدة منذرة بالشر ، ولم يسع ماجداً
السكوب وهو يسمع اتهام أخته بالسرقة وهي بريئة منها ، فأقبل
على أبيه يريد أن يشرح له الأمر ، فتعجل بذلك الشر على نفسه
انفجر البركان وزلزات الدار زلزالا ، وأرعد فيها صوت
الأب الغضب المهتاج :

- تريد أن تضرب خالتك يا قليل الحياء ، يا معدوم التربية ،
يا ملعون ؟ حسبت أنك لو بلفت الزابطة عشرة قد صرت رجلاً ؟
وهل يضرب الرجل حالته ؟ إنني أكسر يدك يا شقي !
- والله يا بابا مو صحيح ...

- ووقاحة أيضاً ؟ أما بقى عندك أدب أبداً ؟ أتكذب خالتك ؟
- أنا لا أكذبها ، ولكنها تقول لك أشياء ليست صحيحة .
عند ذلك وثب الأب وانحط بقوته وغلظته وما ارتعت به
نفسه من مكرها زوجته ، انحط على الغلام وأقبل بضربه ضرب
مجنون ذاهب الرشد ، ولم يشف غيظ نفسه ضربه فأخذ دقتره
الأسود الذي أودعه دروسه كلها ، فزقه تمزيقاً ... ثم تركه هو
وأخته بلا عشاء عقوبة لها وزجراً ...

تمشى الزوجان وابتها ، وأويا إلى مخدعهما ، والغلام جاثم
مكانه ينظر إلى قطع الدقتر الذي أفضى فيه لياليه ، وطاق لأجله
طعامه ومنامه ، والذي وضع فيه نور عينيه ، وربيح عمره ، وبني
عليه أمه ومستقبله ... ثم قام يجمع قطعه كما يجمع الأم أشلاء
ولدها الذي طوّحت به قنبلة ... فلذا هي آلاف لا سبيل إلى
جمعها ، ولا تمود دقترها يقرأ فيه إلا إذا عادت هذه الأشلاء بشراً
سويّاً يتكلم ويمشى ... فأيقن أنه قد رسب في الامتحان ، وقد
أضاع سنته ، وكبر عليه الأمر ، ولم تعد أعصابه تتحمل هذا
الظلم ، وأحسّ كأن الدنيا تدور به وزاغ بصره ، وجعلت أيامه

— جوعانة !

جوعانة ؟ من أين يأتيها بالطعام ؟ وقام يفتش ... فأسمعده الحظ فوجد باب غرفة الطعام مفتوحاً ، وعهده به يقفل دائماً ، ووجد على المائدة بقايا العشاء ، تحملها إليها فأكلتها فرحة بها مقبلة عليها ، كأنها لم تكن من قبل الابنة المدللة المحبوبة ، التي لا يرد لها ، لو طلبت ، طلب ، ولا يخيب لها رجاء . وآله أن يراها تفرح إذا أكلت بقايا أختها وأبها يسرقها لها سرقة من غرفة الطعام ، وعادت صور الماضي فتدفقت على نفسه وطفنت عليها ورجعت صورة أمه فتمثلت له ، وسمعا تناديه ... لقد تجسم هذا الخيال الذي كان يراه دائماً ماثلاً في نفسه ، حتى رده إلى الماضي وأنساه حاضره ... ولم يمد يري في أخته البنت اليتيمة المظلومة ؛ وإنما يراها الطفلة المحبوبة التي تجد أمماً تعطف عليها ، وتبجها ... ونسى دفتره المزق ، ومستقبله الضائع ، وحياته المرّة ، وطلق يصني إلى نداء الماضي في أذنيه ... إلى صوت أمه ...

— قومي يا حبيبتى ، ألا تسمعين صوت أمك ، تعالى زروح عند ماما !

فأجفلت البنت وارتاعت ، لأنها لم تكن تعرف لها أمماً إلا هذه المرأة المجرمة ... وخافت منها وأبت أن تذهب إليها . لقد كان من جنابة هذه المرأة أنها شوّهت في نفس الطفلة أجل صورة عرفها الإنسان : صورة الأم !

— تعالى زروح عند ماما الحلوة : أمك ... إنها هناك في محل جميل : في الجنة ... ألا تسمعين صوتها ؟

وحملها بين يديه ، وفتح الباب ، ومضى بها ... يحدوه هذا الصوت الذي يرنُّ في أذنيه حلواً عذباً ؛ إلى المكان الذي فيه أمه !

وقرأ الناس في الجرائد خفي الفد أن المسس وجدوا في المقبرة طفلة هزيلة في السادسة من عمرها ، وولداً في الرابعة عشرة ، وقد سُحلا إلى المستشفى ، لأن البنت مشرقة على الموت ، قد نال منها الجوع والبرد والفرح ، ولا يمكن أن تنجو إلا بالعموية من أعاجيب القدر ، أما الغلام فهو على أبواب الجنون ، فهو لا يفتأ يذكر الامتحان ، والدفتر الأسود ، وأمّه التي تناديه ... والمرأة التي تشبه الأفي !

على الطنطاوي

(مثنى)

ولم يعمل إليها ، وكانت في أيامها الأولى رقيقة لطيفة ، كالفرسة الصغيرة ، فلما مرت الأيام واستقرت في الأرض ومدت فيها جذورها ، صارت قاسية يابسة كجذع الدوحة ، وإن كانت تخدع الرائين بورقها الطرى وزمردانها الجميل ... ولما ولدت هذه البنت انقلبت شيطانة على صورة أفي مختبهة في جلد امرأة جميلة . والعياذ بالله من المرأة الجميلة إذا كانت في حقيقتها شيطانة على صورة أفي !

وانظمست صور الماضي الحبيب ، واضمحج القلم ، ولم يبق منه إلا هذه الصورة البشمة المقيتة ، ورآها تكبر وتعظم حتى أحاطت به وملأت حياته ، وحجبت عنه ضياء الذكرى ونور الأمل ... وسمع قهقهة فانتفض وأحس كأن رنينها طلاقات (متراليوز) قد سقط رصاصه في فؤاده ، وكانت قهقهة هذه المرأة التي أخذت مكان أمه بتخللها صليل نحك أبيه ... وأنصت فإذا هو يسمع بكاء خافتاً حزيناً مستمر ، فتذكر أخته التي نسيها ، وذكره جوعه بأن المسكينة قد بانت بلا عشاء ، ولعلها قد بقيت بلا عداء أيضاً ، فان هذه المجرمة تشغلها الهزاز كله بخدمتها وخدمة ابنتها ، وتقفل دونها غرفة الطعام ، فلا تعطها إلا كسرة من الخبز ، وتذهب فتطمم ابنتها خفية ، فإذا جاء الأب المشية ، ولبست أمامه وجهها البري ... شكت إليه مرض البنت وضعفها : — مسكينة هذه البنت ، إنها لا تنفذى ... انظر إلى جسمها ، ألا ترىها لطيب ؟ ... ولكن ماذا يصنع لها الطيب ، إنها عنيدة سيئة الخلق ... أدعوها للطعام فلا تأكل ، وعنادها سيقضى على صحتها ...

فيتناديها أبوها ويقول لها :

— ولك يا بنت ما هذا العناد ! كلّي وإلا كسرت رأسك ! فتتقدم لتأكل ، فتري المرأة ... تنظر إليها من وراء أبيها بظرة الوهيد ، وتري وجهها قد انقلب حتى صار كوجه الضبع فتخاف وترتد ...

فتقول المرأة لزوجها : ألم أقل لك ، إنها عنيدة تحتاج إلى تربية ؟ فيهرز رأسه ، ويكتفي من تربيتها بضربها على وجهها ، وشدّ أذنها ، وطردها من الغرفة ، ويكون ذلك عشاءها كل عشية ! تذكر ما وجدته فقام إليها فرمها وضمها إلى صدره .

— مالك ؟ لماذا تبكين ؟ إسكتي يا حبيبتى ؟